جسور المحبة



عائض بن عبد الله القرني

دار الوطن للنشر

جسور المحبة

عائض بن عبد الله القرني

دار الوطن للنشر

ح دار الوطن للنشر والتوزيع - ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القرني، عائض عبد الله

جسور المحبة – الرياض.

... ص ؛ ... سم

ردمك : ٢ – ٢٠٨ – ٢٨ – ٩٩٦٠

١– الوعظ والإرشاد أ– العنوان

ديوي ٢١٣ ٢٢/٥٥٨١

رقم الإيداع : ٢٢/٥٥٨١

ردمك : ٢ – ٢٠٨ – ٢٨ – ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م

دار الوطن للنشر – الرياض

هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس ٤٧٢٣٩٤١ – ص ب : ٣٣١٠

□ البريد الالكتروني: pop@dar-alwatan.com

□ موقعنا على الانترنت: www.dar-alwatan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن المحبة في الله ـ عز وجل ـ من أعظم عُرى الإيمان وقواعده، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ.

وللمحبة جسور أقامها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بين المؤمنين، وصل قلوبهم بها. وقد ذكر ـ سبحانه وتعالى ـ هذه الجسور في كثير من المواضع في كتابه العزيز، كقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]. وقوله جلَّت قدرته: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ويقول تبارك

اسمه : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٦٣]. وقصر سبحانه وتعالى الولاية على المؤمنين فقال : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٧١ وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِين يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِين آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة : ٥٥ ـ ٥٦].

وقد ذكر النبي ﷺ جسور المحبة ـ أيضاً ـ فهو الذي أسّسه وأرسى بناءها، ومدّ حبال الودّ في قلوب أتباعه إلى يو الدين. قال عليه الصلاة والسلام كما عند مسلم من حديث أبي هريرة : «حق المسلم على المسلم ستٌّ . قيل : ما هنّ ي رسول الله؟ قال : إذا لقيته فسلّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإ استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمّته(١)، وإ مرض فعُده، وإذا مات فاتّبعه»(١).

* وهذه المسائل تدعو إليها الحاجة، ولا يمرُّ يوم أو ليلة إلا ويقع أحد أفرادها، ومع ذلك فإن كثيراً من الناس يقصر مع إخوانه المسلمين في أداء هذه الحقوق، فلا تراه يعود مريضاً أو يمشي في جنازة أو يُسلّم على أحد.

ولما رأيت هذا الأمر واضحاً جليًا، استعنت بالله ـ عز وجل ـ في جمع مادة هذا الكتاب، وقد تناولت فيه بعضاً من تلك الجسور «جسور المحبة» تذكيراً لنفسي أولاً، ثم حثًّا لإخواني على مدّ هذه الجسور فيما بينهم، لتنتشر المحبة والألفة والمودة بين المسلمين.

* فهيا نتحابّ .. وهيا نتآلف .. وهيا نتراحم ..

---

(١) تشميت العاطس أن يقول له : يرحمك الله . ويقال : بالسـ المهملة والمعجمة، لغتان مشهورتان . قال ثعلب : يقال : سمت العاطس، وشمته، إذا دعوت له بالهدى، وقصد السمت المستقيم.

(١) أخرجه مسلم (٤/١٧٠٥) رقم: (٢١٦٢).

آداب إسلامية

أولاً : التحية في الإسلام

١ ـ السلام .. تحية الإسلام :

يقول ﷺ في المسلم يقابل المسلم : «إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه»[١]. فالسلام هو التحية التي أنزلها الله على رسوله ﷺ وهي تحية أهل الجنة . قال تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ [الأحزاب : ٤٤]. وهي التحية التي رضيها الله ورسوله ﷺ لأتباعه وأمته من بعده، **ولا يجوز للمسلم أن يستبدل بتحية الإسلام غيرها من تحايا الأمم الأخرى؛ لا بصباح الخير، ولا أهلاً وسهلاً، ولا أنعم صباحاً، ولا غير ذلك**. قال عمران بن حصين : كنا في الجاهلية نقول : أنعم الله بك عيناً، وأنعم صباحاً، فلما كان الإسلام نُهينا عن ذلك[٢].

---

(١) أخرجه أبوداود (٤/٣٥١) رقم : (٥٢٠٠) قال الألباني : رواه بإسنادين، أحدهما صحيح . كما في المشكاة رقم : (٤٦٥٠).

(٢) أخرجه أبوداود (٤/٣٥٧) رقم : (٥٢٢٧) قال الحافظ في الفتح (١١/٦) : رجاله ثقات، لكنه منقطع .

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان، قال : كانوا في الجاهلية يقولون : حييت مساءً، حييت صباحاً، فغيَّر الله ذلك بالسلام[١].

إذن فلابد أن يبدأ المسلم بهذه التحية العظيمة، بالسلام الشرعي السني الموروث عنه عليه الصلاة والسلام .

قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء : ٨٦].

﴿ بِأَحْسَنَ مِنْهَا ﴾ : أي تزيد على تحيته، فإذا قال : السلام عليكم ورحمة الله فقل : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أو بمثلها بأن تقول : وعليكم السلام ورحمة الله .

وعند أبي داود والترمذي بسند صحيح عن عمران بن حصين؛ أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : السلام عليكم، فردَّ عليه ثم جلس . فقال النبي ﷺ : «عشر» ثم جاء آخر، فقال :

---

(١) ذكره الحافظ في الفتح (١١/٦).

السلام عليكم ورحمة الله، فردَّ عليه، فجلس فقال: «عشرون» ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردَّ عليه، فجلس، فقال: «ثلاثون»[١]. أي ثلاثون حسنة لمن أدى التحية بتمامها.

هذه تعاليمه عليه الصلاة والسلام، وهذا هديه في تعليم أصحابه. انظر كيف يُحبّب السنّة إلى قلوب أصحابه عن طريق إبلاغهم بالأجر العظيم الذي ينتظرهم من الله الواحد الأحد، إذا هم طبّقوا تعاليمه وساروا على هديه.

٢ـ على مَن نسلم؟!

ورد عند البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على مَنْ عرفت ومَنْ لم

(١) أخرجه أبوداود (٤/٣٥٠) رقم: (٥١٩٥). والترمذي (٥/٥١) رقم: (٢٦٨٩). قال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وحسّنه الألباني كما في المشكاة رقم: (٤٦٤٣).

تعرف»[١].

وهذا أيضاً هدي إسلامي نبوي شريف؛ أن تسلّم على من عرفت من المسلمين ومن لم تعرف!! قال بعض السلف: أصبح السلام عند المتأخرين على المعرفة، وهذه من علامات الساعة، فالواجب على المسلم أن يفشي السلام بين الناس؛ من عرف ومن لم يعرف خلا أهل الكتاب، خلا المشركين، خلا الوثنيين، فالمسلم هو المقصود بهذا الحديث وغيره من الأحاديث التي تبيّن حقوق الناس بعضهم على بعض. فإذا كان الإنسان يعيش في المجتمعات الإسلامية، فإنه يُطلب منه إفشاء السلام على من لقيه، سواء عرفه وكان صديقاً أو قريباً، أم لم يعرفه.

ومن الملاحظات الاجتماعية أننا نسلّم الآن على المعرفة فقط! وترى الناس في الطرقات لا يسلمون إلا على من عرفوه! أما من لم يعرفوه فلا يسلّمون عليه! وهذا من عمل الجاهلية،

(١) أخرجه البخاري (١/١٣). ومسلم (١/٦٥). رقم: (٣٩).

وهو مخالف لسنته عليه الصلاة والسلام، ففي الصحيحين أن آدم عليه السلام لما خلقه الله قال: «اذهب فسلِّم على أولئك النفر من الملائكة جلوسٌ، فاستمع ما يحيُّونك، فإنها تحيَّتك وتحية ذريتك، فذهب فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله»(١).

هذه هي تحية آدم، وتحية ذريته، وتحية أهل الجنة، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، أوَلا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»(٢).

فبيّن عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث أن الجنة لا تُدخل إلا بالإيمان، وأن الإيمان لا يحصل إلا بالحبّ، وأن الحبّ لا يحصل إلا بإفشاء السلام.

وإفشاء السلام يزيل الضغينة من القلوب خاصة بين

(١) أخرجه البخاري (٧/ ١٢٥) ومسلم (٤/ ٢١٨٣). رقم: (٢٨٤١).
(٢) أخرجه مسلم (١/ ٧٤) رقم: (٥٤).

الأقارب والجيران. ومعناه في الإسلام أنك ترفع رايتك البيضاء المسالمة، كأنك تقول: أتيت أرفع رايتي البيضاء، فأمنوني ولا تهيبوا مني.

وهذا هو شعار المحبة والود الذي أقامه رسولنا ﷺ وحثّ على إرسائه وتثبيته في قلوب أصحابه وأمته من بعده.

وعند البخاري موقوفاً على عمار بن ياسر رضي الله عنه وأرضاه أنه قال: «**ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار**»(١). وبذل السلام للعالم هنا يتضمن تواضع العبد، وأنه لا يتكبّر على أحد، بل يبذل السلام للصغير والكبير، والشريف والوضيع، ومن يعرفه ومن لا يعرفه، والمتكبر ضدّ هذا، فإنه لا يرد السلام على كل من سلَّم عليه كبراً منه وتيهاً، فكيف يبذل السلام لكل أحد؟!(٢).

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٢) معلقاً، وقد وصله عبد الرزاق في المصنف، رقم (١٩٤٣٩).
(٢) انظر: زاد المعاد (٢/ ٤١٠).

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن الرسول ﷺ م
على غلمانٍ فسلَّم عليهم(١).

وهذا من شدة تواضعه ولينه ورحمته ﷺ، وهو بذلك يدخل أعظم البهجة على نفوس هؤلاء الصغار، لأنهم سوف يتشرفون بسلام رسول الله ﷺ عليهم، وسوف يحكون ذلك في المجالس.

فعلى المسلم أن يتواضع لمثل هؤلاء، ولا يتجاهله لأنهم صغار، بل يتفقدهم، وسلامه عليهم يعلمهم بذلك الحب، ويدفعهم إلى مكارم الأخلاق.

وقد رأينا في السيرة أن عمر رضي الله عنه على هيبته وقو في الحق كان إذا مرّ بالصبيان وقف وسلَّم عليهم، ومازحهم وهو خليفة المسلمين!!.

وقد مرّ على صبيان المدينة وهم يلعبون، فعندما رأو وسمعوا جلجلته وهيلمانه وسلطانه فرُّوا إلى بيوتهم!

(١) أخرجه البخاري (٧/١٣١)، ومسلم واللفظ له (٤/١٧٠٨) رقم (٢١٦٨).

الشياطين تفرّ من عمر فكيف بالصبيان؟!!

كيف بالصبيان الذين قلوبهم كقلوب الطير، أما يفرون من إنسان أصاب قياصرة الدنيا باليأس، وأكاسرة المعمورة بالذهول؟!

ففرّوا جميعاً إلا عبد الله بن الزبير، فإنه لم يفر، كان شابًا صغيراً. فقال له عمر يمازحه: فرَّ أصحابك ولم تفر أنت، أما خفت؟

قال عبد الله: ما فعلت جُرماً فأخافك، وليست الطريق ضيقة فأوسع لك!

فاستُدل على ذكائه وشجاعته من تلك اللحظة، وكيف لا يكون ذكيًا وأبوه الزبير بن العوام، وأمه أسماء رضي الله عنهم جميعاً؟! ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٤].

٣- أمانة تحمل السلام وتبليغه:

كان ﷺ يسلِّم بنفسه على من يواجهه، ويحمل السلام لمن يريد السلام عليه من الغائبين، كما ثبت أنه ﷺ بعث فتى إلى رجل مريض، فلما أتاه قال: إن رسول الله ﷺ يُقرئك

السلام(١) . . . الحديث .

وكان ﷺ يتحمل السلام لمن يبلّغه إليه(٢)، فعند البخاري
ومسلم أن جبريل عليه السلام نزل من السماء، فأتت خديج
رضي الله عنها، فقال جبريل عليه السلام: «يا رسول الله، هذ
خديجة أتتك بالطعام فاقرأ عليها السلام من ربها، وبشّره
ببيت في الجنة من قصب، لا صَخَب فيه ولا نصب»(٣) .

وقد بلّغ كذلك ﷺ السلام لعائشة أم المؤمنين من جبريل
[متفق عليه] .

وينتهي السلام على الصحيح عند قول «وبركاته» كما رو
ذلك أبوداود والترمذي بسند قوي، وقد زاد بعضه
«ومغفرته» . ولكن هذه الزيادة ضعيفة، ذكرها أبوداود ف

---

(١) أخرجه مسلم (٣/١٥٠٦) رقم: (١٨٩٤).
(٢) انظر زاد المعاد (٢/٤١٦).
(٣) أخرجه البخاري (٤/٢٣١). ومسلم (٤/١٨٨٧) رقم: (٢٤٣٢)
والصخب: الصوت المختلط المرتفع.
والنصب: المشقة والتعب.

حديث لا يثبت(١) .

وكان عليه الصلاة والسلام كما عند البخاري(٢) والترمذي(٣) والحاكم(٤) عن أنس أنه إذا سلّم سلّم ثلاثاً، ولعل هذا كان هديه ﷺ في السلام على الجمع الكثير الذين لا يبلغهم سلام واحد، إن ظن أن الأول لم يحصل به الإسماع، كما بيّنت ذلك رواية الحاكم.

وقد ورد في السنّة: أن الرسول ﷺ ذهب يزور سعد بن

---

(١) أبوداود (٤/٣٥٠) رقم: (٥١٩٦)، وذكر ابن القيم لهذه الزيادة ثلاث علل .. انظر: زاد المعاد (٢/٤١٧). وضعفه أيضاً الحافظ في الفتح (١١/٨).
(٢) الصحيح (١/٣٢).
(٣) السنن (٥/٦٨) رقم (١٧٢٣).
(٤) المستدرك (٤/٢٧٣) ولكنه روى الجزء الأول من الحديث فقط وهو قول أنس ـ رضي الله عنه ـ: «كان رسول الله ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً لتعقل عنه». وليس فيه ذكر السلام.
وقد وهم الحاكم في استدراك هذا الحديث على الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ.

عبادة، فأتى الباب فقال: «**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**، فسمعه سعد فردّ في نفسه، ولم يرفع صوته! فقال ﷺ: **السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**، فردّ سعد في نفسه، ولم يسمعه صوته! فقال عليه الصلاة والسلام: **السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**، فردّ سعد في نفسه ولم يسمعه صوته! فذهب ﷺ فلحقه سعد بن عبادة، وقال: يا رسول الله، والله ما سلّمتَ من سلام إلا سمعتك، وقد رددت في نفسي، لكن أردت أن تزيدنا من السلام، فقال عليه الصلاة والسلام: **السلام عليكم أهل البيت ورحمته، إنه حميد مجيد**»(١).

٤ ـ السلام على النساء:

ورد عند الترمذي(٢) وأبي داود(٣) وابن ماجة(٤) والبخاري

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم (١٠٧٣) قال محقق زاد المعاد: (٢/ ٤١٩): وفي سنده ضعف.

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٥٦) رقم: (٢٦٩٧).

(٣) سنن أبي داود (٤/ ٣٥٢) رقم: (٥٢٠٤).

(٤) سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٢٠) رقم: (٣٧٠١).

في الأدب المفرد(١) أن الرسول ﷺ مرّ يوماً بجماعة من النسوة فألوى بيده بالتسليم. جماعة من النسوة كن في طرف الطريق وهو مارّ ﷺ، فالتفت إليهن وقال: **السلام عليكن ورحمة الله وبركاته**. وهذا خلقه عليه الصلاة والسلام؛ لأنه رسول للرجال والنساء جميعاً.

قال بعض أهل العلم: إذا انتفت الموانع، وأُمنت الفتنة فيجوز السلام على النساء، كالعجوز الكبيرة مثلاً، فإن عليك أن تسلّم عليها وتصحبها، وتسألها عن حالها، كما فعل الصحابة رضي الله عنهم، فقد كانوا ـ كما في حديث سهل بن سعد عند البخاري(٢) ـ يصلون الجمعة ثم يأتون إلى عجوز في طريقهم فيسلّمون عليها، وهذا مرغوب فيه من باب الرحمة بالكبير من المسلمين الطاعنين في السن، وهذا مما حثّ عليه

---

(١) الأدب المفرد رقم: (١٠٤٧). وفي إسناد هذا الحديث شهر بن حوشب إلا أن الترمذي حسن الحديث، ونقل عن البخاري قوله: شهر حسن الحديث، وقوي أمره.

(٢) صحيح البخاري (١/ ٢٢٥).

الإسلام في كثير من النصوص، وقد ذهب الإمام ابن القيم إلى ذلك في زاد المعاد[1].

من آداب السلام:

١ ـ صحَّ عنه عليه الصلاة والسلام عند البخاري[2] ومسلم[3] والترمذي[4] أنه قال: «يسلِّم الصغير على الكبير، والمارُّ على القاعد، والراكبُ على الماشي، والقليلُ على الكثير».

* **الصغير يسلم على الكبير:** فقوله ﷺ: «يسلم الصغير على الكبير» لحكمة، فإن الكبير له حق الوقار فيبدؤه الصغير بالسلام، فأنت إذا التقيت برجل أكبر منك سنًّا، فالواجب عليك أن تبدأه بالسلام لتشعره باحترامك له وتقديرك لِكِبَره، ولو بدأك هو بالسلام فهو أفضل منك بلا شك.

(١) زاد المعاد (٢/ ٤١٢).
(٢) صحيح البخاري (٧/ ١٢٧، ١٢٨).
(٣) صحيح مسلم (٤/ ١٧٠٣) رقم: (٢١٦٠).
(٤) سنن الترمذي (٥/ ٥٩) رقم: (٢٧٠٣، ٢٧٠٤).

فصغير السن يبدأ بالسلام على الكبير، ويقاس على ذلك أنه يبدأ العالم، والشيخ الجليل، وعلى من له مكانة ووجاهة، وعلى من له بلاء حسن، أو منزلة في الإسلام، فيبدأ كل هؤلاء بالسلام.

* **المار يسلم على القاعد:** وأما قوله ﷺ: «المار على القاعد». فالواجب على الماشي أن يبدأ القاعد بالسلام، لا كما يفعل بعض الناس فهم دائماً ينتظرون من يبدأهم بالسلام على أي حال؛ سواء كان راكباً أو ماراً، أو قاعداً، وهذا خطأ ويُخشى على صاحبه من الكبر، فلابد من معرفة السنة في هذا الأمر، والالتزام بها كما جاءت عن رسول الله ﷺ، فالمارّ هو الذي يبدأ الجلوس بالسلام، لأنه هو الطارئ على المكان، وفي الغالب يكون وحده، بينما يكون الجلوس جماعة.

* **الراكب يسلم على الماشي:** وأما قوله ﷺ: «والراكب على الماشي» فإن الراكب يسلِّم على الماشي، ويبدؤه بالسلام، فراكب السيارة ـ مثلاً ـ يسلم على من يمشي، وكذلك راكب الدابة، ونحو ذلك، وقد ذكر بعض الشرّاح ـ كما في فتح الباري ـ لطائف منها قولهم: إن الراكب يشع

بزهو دائماً، فألزمه الإسلام بالسلام على الماشي تواضع[ـاً] وخفضاً للجناح، حتى لا يتطرق الكبر إلى صدره.

* **القليل يسلم على الكثير:** وقال ﷺ: «والقليل على الكثير». فإذا مرّ الواحد على الجماعة فالواجب أن يبدأ هـ[ـم] بالسلام، وإذا مرّ الخمسة على العشرة سلّم الخمسة على العشرة، ولم يسلم العشرة على الخمسة.

و«يجزئ عن الجماعة إذا مرّوا أن يسلم أحدهم، ويجز[ئ] عن الجلوس أن يرد أحدهم». كما عند أبي داود[1] وله شاه[د] يحسّنه عند مالك في الموطأ[2].

وورد عند الترمذي[3] أنه ﷺ قال: «يسلّم الماشي عل[ى] القائم».

---

(١) سنن أبي داود (٤/٣٥٤) رقم: (٥٢١٠) وفي إسناده سعيد بن خال[د] الخزاعي. قال الحافظ في التقريب ص (٢٣٥) ضعيف من السابعة وحسّن الألباني هذا الحديث لشواهده، كما في الإرواء رقم: (٧٧٨).

(٢) الموطأ (٢/٩٥٩) رقم: (١) وهو شاهد صحيح مرسل.

(٣) الترمذي (٥/٥٩) رقم: (٢٧٠٥) وقال الترمذي: حسن صحيح

فهذه آدابه ﷺ وهذه تعاليمه وحِكمه ولطائفه، فإنه لم يترك خيراً إلا وحثّنا على فعله، ولم يترك شرًّا إلا وحذّرنا منه.

٢- فضل البدء بالسلام:

جاء عند ابن حبان[1] والبزار[2] عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «ليسلم الرّاكب على الماشي، والماشي على القاعد، والماشيان أيهما بدأ فهو أفضل».

وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أحمد[3] وأبو داود[4] بسند صحيح: «إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام».

والمعنى: أن أقرب الناس إلى الله -عز وجل- وأكثرهم ولاية

---

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/٢٥١) رقم: (٤٩٨) قال الأرناؤوط: رجاله ثقات رجال مسلم إلا أن أبا الزبير قد عنعن وهو مدلس.

(٢) قال الهيثمي في المجمع (٨/٣٩): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٣) المسند (٥/٢٥٤، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٩).

(٤) سنن أبي داود (٤/٣٥١) رقم: (٥١٩٧). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٢٠١١).

وحبًا وزلفى إلى الله، الذي يبدأ المسلمين بالسلام، وكانت هذه عادة أخيار الصحابة والتابعين أنهم يبدءون غيرهم بالسلام.

وورد عنه عليه الصلاة والسلام كما عند ابن السني، قال: «**السلام قبل السؤال، فمن بدأكم بالسؤال قبل السلام فلا تجيبوه**»[1].

ومعنى الحديث أنه لا يبدأ أحدٌ في سؤال ولا في كلام حتى يسلِّم، فإذا سلَّم بدأ في سؤاله وموضوعه.

وعند الترمذي[2] وأبي داود[3] وأحمد[4] بسند صحيح عن

---

(١) هذا اللفظ أخرجه ابن عدي في الكامل (٢/ ٣٠٣) وسنده ضعيف، وأخرجه الطبراني في الأوسط. وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٣٥): فيه هارون بن محمد أبو الطيب، وهو كذاب.
أما ابن السني فقد رواه من طريق آخر بلفظ: «من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه». انظر: عمل اليوم والليلة رقم: (٢١٤) وحسّن الألباني هذا الإسناد كما في السلسلة الصحيحة رقم: (٨١٦).

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٦٢) رقم: (٢٧١٠) قال الترمذي: حسن غريب.

(٣) سنن أبي داود (٤/ ٣٤٤، ٣٤٥) رقم: (٥١٧٦).

(٤) المسند (٣/ ٤١٤). والحديث صححه الألباني كما في السلسلة

كلدة بن حنبل أن صفوان بن أمية بعثه بلبن ولبأ (أول ما يُحلب عند الولادة)، وجداية (الصغير من الظباء)، وضغابيس (صغار القثاء) إلى النبي ﷺ، والنبي ﷺ بأعلى الوادي، قال: «فدخلت عليه، ولم أسلِّم، ولم أستأذن، فقال النبي ﷺ: «ارجع فقل: السلام عليكم، أأدخل؟».

أمة أمية.. ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]. بعث الله في هذه الأمة هذا الرسول ﷺ؛ ليزكيها ويفقهها في دينها، ويعلِّمها الآداب الرفيعة والأخلاق العالية.

والشاهد في حديث كلدة: أن البدء بالسلام يكون قبل الدخول، وقبل الكلام، وقبل أي شيء.

وكان ﷺ كما في سنن أبي داود[1] من حديث عبد الله بن

الصحيحة رقم: (٨١٨).

(١) سنن أبي داود (٤/ ٣٤٨) رقم: (٥١٨٦). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم: (٤٦٣٨).

بسر، إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، فيقول : «السلام عليكم، السلام عليكم» حديث حسن.

وكان من هديه عليه الصلاة والسلام أنه يبدأ من لقي بالسلام . وكان يحرص على ذلك، خلافاً للمتكبرين، فإنهم يتحرّون أن يبدأهم الناس بالسلام.

وابتداء السلام بلفظ : «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» ويرد الراد «وعليكم السلام» بالواو . وقد أثبتها النووي وابن القيم، وهي أجمل وأحسن من لفظ : «عليكم السلام» .

ويكره أن يقول المبتدئ : «عليك السلام»، قال أبو جري الهجيميُّ كما عند أبي داود[1] والترمذي[2] وأحمد[3] بسند

(١) سنن أبي داود (٤/ ٣٥٣) رقم : (٥٢٠٩).

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٦٨) رقم : (٢٧٢٢). قال الترمذي : حسن صحيح

(٣) المسند (٥/ ٦٣، ٦٤) والحديث صحّحه الألباني كما في صحيح الجامع رقم : (٧٤٠٢).

صحيح : أتيت النبي ﷺ فقلت : عليك السلام يا رسول الله، فقال : «لا تقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الموتى» .

فعلينا تجنب قول : «عليك السلام»، فإنهم كانوا يحيون موتاهم بذلك، كما قال الشاعر لما مرّ بقبر قيس بن عاصم :

عليك سلامُ اللهِ قيسَ بنَ عاصم
ورحمتُه ما شاء أن يترحّما

تحية من ألبسته منك نعمةً
إذا زار عن شحط بلادك سلما

فما كان قيسٌ موتُه موتُ واحدٍ
ولكنّه بنيانُ قومٍ تهدّما

فبدأ بالجار والمجرور لأنه على ميت .

فكره النبي ﷺ أن يحيّى بتحية الأموات، ومن كراهته لذلك لم يرد على المسلّم بها[1] .

٢ - آداب السلام في المجالس :

قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه

(١) انظر زاد المعاد (٢/ ٤٢٠، ٤٢١).

أبـو داود[١] والتـرمـذي[٢] وأحـمـد[٣] والبخـاري فـي الأدب المفرد[٤] والحميدي[٥] وابن حبان[٦] بسند حسن : «إذا قعـ أحدكم فليسلم، وإذا قام فليسلم، وليست الأولى أحق مـ الآخرة».

والمعنى : إذا أردت أن تودِّع إخوانك وأصحابك عليك أ تسلِّم فتقول وأنت تغادر المكان والمجلس : السلام عليكـ ورحمة الله وبركاته، وهذه سنة غفل كثير من المسلمين عنهـ حتى تجد الكثير يقول : في أمان الله، أو أستودعكم الله ويترك هذه السنَّة العظيمة التي نصّ عليها رسول الهدى علـ

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٣٥٣) رقم : (٥٢٠٨).
(٢) سنن الترمذي (٥/ ٦٠) رقم : (٢٧٠٦) . وقال الترمذي: حسن
(٣) المسند : (٢/ ٢٣٠، ٢٨٧، ٤٣٩).
(٤) الأدب المفرد رقم : (١٠٠٧، ١٠٠٨).
(٥) مسند الحميدي رقم : (١١٦٢).
(٦) الإحسان (٢/ ٢٤٧) رقم : (٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦) وحسّن إسنـ الأرناؤوط.

الصلاة والسلام!

وعند أبي داود[١] بسندين أحدهما مرفوع وسنده صحيح، والآخر موقوف وسنده ضعيف عنه ﷺ : «إذا لقي أحدكم صاحبه فليسلم عليه، فإن حال بينهما شجرة أو جدار، ثم لقيه فليسلم عليه أيضاً».

وقد ورد هذا من عمل الصحابة عند الطبراني في الأوسط[٢]، وابن السني[٣]، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد[٤]، من أنس رضي الله عنه قال : «كان أصحاب رسول الله ﷺ يتماشون، فإذا استقبلتهم شجرة أو أكمة تفرَّقوا يميناً وشمالاً، وإذا التقوا من ورائها سلَّم بعضهم على بعض» سنده حسن.

ويُقاس على هذا الداخل والخارج في المجلس، فإنه يسلِّم

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) ذكر ذلك الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٧).
(٣) عمل اليوم والليلة رقم : (٢٤٥).
(٤) الأدب المفرد رقم : (١٠١١) . والحديث حسَّن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٧).

كلما دخل أو خرج، وهذا فعل حسن يُثاب فاعله.

٤ـ آداب السلام عند دخول المسجد:

قال ابن القيم ـ يرحمه الله ـ: «ومن هديه ﷺ أن الداخل إلى المسجد يبتدئ بركعتين تحية المسجد، ثم يجيء فيسلِّم على القوم»[١]. واستدل ـ رحمه الله ـ بحديث رفاعة في المسيء صلاته أنه صلى ثم أتى فسلّم فقال له ﷺ: «وعليك، فارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ». الحديث[٢].

وهذا رأيه ـ يرحمه الله ـ ولكن ليس هناك دليل على أن الرجل لم يسلِّم أول ما دخل المسجد، ثم إنه قد يكون بعيداً في طرف المسجد فابتدأ بالصلاة أولاً ثم جاء فسلَّم.

والأقرب أنه إذا دخل المسلم المسجد أن يسلم على إخوانه

---

(١) زاد المعاد (٢/٤١٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢/١٠٠، ١٠١) رقم: (٣٠٣). وقال الترمذي: حسن. ورواه أبوداود (١/٢٢٦) رقم: (٨٥٦). وقد أخرج هذا الحديث أيضاً البخاري (١/١٨٤) ومسلم (١/٢٩٨) رقم: (٣٩٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

المسلمين، ثم يصلي ركعتين.

وإذا سلّم عليك مسلمٌ وأنت في الصلاة ـ نافلة كانت أو فريضة ـ فإن السنة في ذلك كما صحَّ عند مسلم[١] وغيره، أن تبسط يدك فتجعل باطنها إلى الأرض، وظاهرها إلى اتجاه وجهك، ولا تقل بلسانك وأنت في الصلاة: وعليكم السلام.

وبعض أهل العلم يقول: تشير بسبابتك، ولكن بسط الكف أولى عند أهل العلم، وهو القول الراجح.

٥ـ آداب السلام على الأهل:

كان ﷺ إذا دخل على أهله بالليل يسلِّم تسليماً لا يُوقظ النائم، ويسمع اليقظان. رواه مسلم[٢]. فلا يدخل الإنسان على أهله فيسلم بإزعاج فيوقظ أهله! فانظر إلى لطافته ورقته وحلمه ﷺ.

أما حديث: «السلام قبل الكلام». فهو باطل لا يصح عنه

---

(١) صحيح مسلم: (١/٣٨٣) رقم: (٥٤٠).

(٢) صحيح مسلم: (٣/١٦٢٥) رقم: (٢٠٥٥).

ﷺ، فقد ورد عند الترمذي[١] من حديث جابر، لكن في سنده عنبسة بن عبد الرحمن وهو متروك، ورماه أبو حاتم بالوضع، فقال: وضّاع: يعني كذاب، كما أن شيخ عنبسة وهو محمد ابن زاذان متروك أيضاً، فالحديث باطل[٢].

٦ـ حكم السلام على أهل الكتاب:

كان ﷺ لا يبدأ أهل الكتاب بالسلام، وقد صحّ عنه عليه الصلاة والسلام عند مسلم[٣] وأبي داود[٤] والترمذي[٥]، أنه قال: «لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام». فالسنّة لمن يعمل مع اليهود والنصارى ألا يبدأهم بالسلام، لكن إذا سلّموا قال

(١) سنن الترمذي (٥/٥٧) رقم: (٢٦٩٩) وقال الترمذي: حديث منكر. وقال الألباني في ضعيف الجامع رقم: (٣٣٧٣): موضوع.

(٢) انظر: زاد المعاد (٢/٤١٤، ٤١٥).

(٣) صحيح مسلم: (٤/١٧٠٧) رقم: (٢١٦٧).

(٤) سنن أبي داود (٤/٣٥٢) رقم: (٥٢٠٥).

(٥) سنن الترمذي: (٤/١٣٢) رقم: (١٦٠٢) وقال الترمذي: حسن صحيح.

عليكم.

ومرّ ﷺ كما في البخاري[١] ومسلم[٢] وأحمد[٣] على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، فسلّم عليهم. فإذا مررت بمجلس فيه مسلمون (وهذا شرط) وفيه يهود ونصارى، فسلّم عليهم السلام الشرعي.

وكتب عليه الصلاة والسلام كما في البخاري[٤] ومسلم[٥] لهرقل وغيره: «السلام على من اتبع الهدى».

وقد ورد ذلك في كتاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ في قول موسى لفرعون: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧]. فإذا سلّمت أو كتبت رسالة لأهل الكتاب فإنك تقول: «السلام على من اتبع الهدى». لكن لا تبدأهم بالسلام.

(١) صحيح البخاري: (٧/١٣٢، ١٣٣).

(٢) صحيح مسلم: (٣/١٤٢٢، ١٤٢٣) رقم: (١٧٩٨).

(٣) المسند: (٥/٢٠٣).

(٤) صحيح البخاري: (٧/١٣٥).

(٥) صحيح مسلم: (٣/١٣٩٣) رقم: (١٣٧٣).

٧ ـ ترك السلام على العاصي حتى يتوب :

كان من هديه ﷺ ترك السلام ابتداءً وردًّا على
أحدث حدثاً حتى يتوب منه، كما فعل ﷺ بكعب
مالك مع صاحبيه كما عند البخاري[1] ومسلم
والترمذي[3] وأبي داود[4] وأحمد[5]، فإن الرسول ﷺ لم يـ
يبدؤهم بالسلام، بل قال كعب بن مالك : فكنت أسلم ع
الرسول ﷺ فلا أدري هل يردُّ عليَّ أم لا؟! وهل حرَّك شفـ
بالسلام أم لا؟!

ومثل ذلك المبتدع الذي عُرف بابتداعه، أو أحدث حدثاً
الدين، فلك أن تهجره، لا تسلِّم عليه، ولا تردَّ عليه السـ
حتى يتوب، وذلك بعد نصحه وتخويفه وحثِّه على تر

(١) صحيح البخاري : (٧/ ١٣٣).
(٢) صحيح مسلم : (٤/ ٢١٢٤) رقم : (٢٧٦٩).
(٣) سنن الترمذي : (٥/ ٢٦٣) رقم :(٣١٠٢).
(٤) سنن أبي داود : (٢/ ٢٦٢) رقم : (٢٢٠٢) مختصراً.
(٥) المسند : (٣/ ٤٥٩، ٤٦٠).

لابتداع في الدين.

وكذلك مثل من ترك صلاة الجماعة بلا عذر وهو جار
المسجد، معافى، وفي صحة، فلك أن تهجره من السلام،
من الرد حتى يصلي مع الجماعة.

وورد من حديث أبي أيوب الأنصاري أن الرسول ﷺ قال :
«لا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث، يلتقيان،
فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[1].

وهذا في أمور الدنيا، فإن الغضب والغيظ في الدنيا ينتهي
ثلاث، ويحرم الهجر بعد ذلك، أما في الدين فلا ينتهي حتى
يتوب من خطئه، ويتوب من ابتداعه.

* السلام عند الشعراء :

قال كثير عزة في السلام :

حيتك عزة بالتسليم وانصرفت
فحيِّها مثلما حيَّتك يا جملُ

(١) أخرجه البخاري : (٧/ ١٢٨) ومسلم (٤/ ١٩٨٤) رقم :(٢٥٦٠).

ليت التحيةَ كانت لي فأشكُرها
ما كان يا جملاً حُييتَ يا رجلُ

وذكر أهل الأدب أن رجلاً طلَّق امرأته، فتزوجها رجل آخر؛ فأراد الأول أن تعود إليه، فقال مهدداً الثاني:

سلامُ الله يا مطرٌ عليها
وليس عليك يا مطرُ السلامُ
فطلِّقها فلستَ لها بكفءٍ
وإلا يَعْلُ مفرقك الحسامُ

ويقول جرير الخطفيُّ في ديوانه:

يا أم ناجية السلام عليكمُ
قبلَ الرواح وقبلَ لومِ العُذَّلِ
لو كنت أعلم أن آخرَ عهدِكم
يومُ الرحيلِ فعلتُ ما لم أفعلِ

* * *

ثانياً: إجابة الدعوة

حكم إجابة دعوة المسلم:

ومن جسور المحبة قوله ﷺ: «**وإذا دعاك فأجبه**»[1].

ومن الدعوات ما تكون واجبة، ومنها ما تكون سنةً، ومنها ما يحرم إجابتها.

فأما ما هي واجبة: فدعوة الزواج - إذا لم يكن هناك منكر - ففي الصحيحين من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -: «**إذا دعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها**»[2]. والوليمة هي وليمة العرس؛ لأنها تسمَّى هكذا في كتب اللغة. وفي لفظ مسلم[3]: «**إذا دعا أحدكم أخاه فليجب، عرساً كان أو نحوه**».

قال أهل العلم: هذا الأمر للوجوب، أي يجب عليك

(١) تقدم تخريجه في المقدمة.
(٢) أخرجه البخاري (٦/١٤٣) ومسلم (٢/١٠٥٢) رقم: (١٤٢٩).
(٣) صحيح مسلم (٢/١٠٥٣) رقم: (١٤٢٩).

شرعاً أن تجيب الداعي ما لم يكن هناك منكر مخالف للشرع.

٢ـ آداب الدعوة:

ورد عند مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ش **الطعام طعام الوليمة يُمنعها من يأتيها، ويُدعى إليها من يأباها، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله**»[١].

فشرُّ الولائم التي للرياء والسمعة، يُدعى إليها عِليةُ الناس ويُمنع منها الفقراء، وعند مسلم[٢] ـ أيضاً ـ «**إذا دُعي أحدك إلى طعام فليجب، فإن شاء طعم، وإن شاء ترك**».

فأنت تحضر وليس المقصود أن تأكل، فإن البعض الآن إ دُعي إلى وليمة قال: ما أستطيع لأني أكلت، أو يقول: لا أر الأكل، فهذا خطأ، ليس المقصود أن تأكل، احضر وادعُ لهم وتحدث معهم وآنسهم، فإن كثيراً من السلف كانوا يحضرو وهم صيام، فكانوا يدعون لأهل المنزل من حُسْنِ خلقهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ١٤٤) ومسلم (٢/ ١٠٥٤) رقم: (١٤٣٢).
(٢) صحيح مسلم: (٢/ ١٠٥٤) رقم: (١٤٣٠).

وعن ابن مسعود مرفوعاً: «**طعام الوليمة أول يوم حق، وطعام الوليمة في اليوم الثاني سنّة، وطعام الوليمة في اليوم الثالث سمعة، ومن سمّع سمّع الله به**». رواه أبو داود[١]، وأحمد[٢] وفي سنده مجهول، وهذا الحديث ضعيف. والبخاري يرى ضعف الحديث.

وقد قال البخاري في الصحيح: «**لم يوقت النبي ﷺ يوماً ولا يومين**»[٣].

فللإنسان أن يزيد على يوم أو يومين أو ثلاث، لكن الأقرب للسنّة يوم واحد، ووليمة واحدة.

والمقصود إجابة الدعوة إذا لم يكن هناك منكر.

والدعوة لمن سبق: فإذا دعاك داعيان في يوم واحد، أو في أيام مختلفة، فقدّم الذي سبق إلى دعوتك، واعتذر

---

(١) سنن أبي داود (٣/ ٣٤١) رقم: (٣٧٤٥).
(٢) المسند (٥/ ٢٨) والحديث ضعّفه الألباني كما في ضعيف الجامع، رقم: (٣٦١٦).
(٣) صحيح البخاري (٦/ ١٤٣).

للثاني، وقل له : سبقك فلان بالدعوة، فإذا تساوى أه
الدعوة، فالأقرب منهم الأولى بالإجابة، وذوي الأرحام أو
بك بإجابة دعوتهم من الجيران إذا دعوك سويًّا.

وإذا كان هناك منكر فليس عليه أن يحضر ـ كما سبق ـ
إذا علم أن في حضوره منعاً للمنكر، أو حدًّا منه، فله
يحضر.

* * *

ثالثاً : الدين النصيحة

وجوب النصيحة :

أما قوله ﷺ في الحديث : «**وإذا استنصحك فانصح له**»[1].

فهذا أدب ثالث يبيّنه عليه الصلاة والسلام لنا، وهو شعار المحبة، وهو الواجب الشرعي علينا بعضنا لبعض.

فالنصيحة واجبة عند أهل العلم، وقد قال ﷺ كما عند مسلم[2] : «**الدين النصيحة**، قلنا : لمن؟ قال : **لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**».

وقد قال ﷺ كما في الصحيحين[3]، وهذا من باب النصيحة : «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**، قلنا : يا رسول الله، ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال : **ترده عن الباطل**

(١) تقدم تخريجه في المقدمة.
(٢) صحيح مسلم (١/ ٧٤) رقم : (٥٥).
(٣) البخاري (٣/ ٩٨) من حديث أنس بن مالك واللفظ له. ومسلم (٤/ ١٩٩٨) رقم : (٢٥٨٤) من حديث جابر.

فإن ذلك نصره».

فالواجب علينا أن نتناصح فيما بيننا، والإنسان لا يسلم م الخطأ والنسيان، ونحن جميعاً يعترينا النقص والخطأ في كث من تصرفاتنا، لأن العصمة لرسول الهدى عليه الصلا والسلام، فالواجب على الأخ إذا رأى أخاه قد أخطأ ف مسألة، أو في اجتهاد أو في تصرفٍ، أو في أسلوب، أ يذهب إليه وينصحه، ولن يجد الناصح إلا الحبّ والدعا والبشر والاستقبال الحسن. يقول عليّ - رضي الله عنه - : «المؤمنون نصحة، والمنافقون غششة».

فإذا رأيت الإنسان ينتقد إخوانه وينالهم في المجالس ويتعرض لأعراضهم، ثم لا ينصحهم في وجوههم، فاعلم أ غاش لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين.

ومن علامة المؤمن إذا أراد أن يقوِّم أخاه أن يذهب إليه ويأخذه على حدة، وينصحه ويوجِّهه، ويحنّ عليه، ويتعاطف معه، ويتلطف به حتى يقوِّمه إن كان يريد النصح حقًّا، وإن كا يريد التشهير بأخيه المسلم فالله يتولاه، والله حسيبه، والله م

رواء قصده.

وقد ذكر الله - عز وجل - في كتابه طريقة الأنبياء في الدعوة، وأنها قامت على النصيحة، فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ [الأعراف: ٦٢] ويقول لهم - أيضاً -: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ ﴾ [هود: ٣٤]. وهذا نبي الله صالح عليه السلام يقول لقومه: ﴿ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ [الأعراف: ٧٩]. وقال شعيب: ﴿ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ [الأعراف: ٩٣]. فهؤلاء هم أنبياء الله - عز وجل - وصفوة خلقه، ومن تشبّه بقوم فهو منهم.

١ـ آداب النصيحة:

للنصيحة آداب ثلاثة: الأول: الإخلاص، والثاني: اللين، والثالث: الإسرار بها.

وكثيراً ما يخطئ العبد، فنحن لسنا معصومين من الخطأ، وإني أكرر ذلك ليعلم الناصح أن الخطأ والنسيان شيء عادي

مركوز في أصل الجبلة، فلا يتعصب في نصيحته. يقول الشاعر:

من ذا الذي ما ساء قط
ومن له الحسنى فقط

ويقول الآخر:

تريد مهذباً لا عيبَ فيه
وهل عودٌ يفوح بلا دخان

ويقول ثالث:

ولست بمستبقٍ أخاً لا تَلُمه
على شعثٍ أيُّ الرجالِ المهذَّبُ

ويقول رابع:

من ذا الذي تُرضى سجاياه كلُّها
كفى المرء نُبلاً أن تُعدَّ معايبُه

وإن الإسرار بالنصيحة من هديه ﷺ، فإن النصيحة على رءوس الأشهاد فضيحة.

قال الشاعر:

تعمدني بنصحك في انفرادِ
وجنِّبني النصيحة في الجماعه
فإن النصحَ بين الناس نوعٌ
من التوبيخِ لا أرضى استماعه
فإن خالفتني وعصيتَ أمري
فلا تجزع إذا لم تَلْقَ طاعه

وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول: «رحم الله امرأً أهدى إليّ عيوبي»، وكان يستمع للصحابة وهم ينصحونه.

❊ ❊ ❊

رابعاً : تشميت العاطس

١ـ متى يشمت العاطس وكيفية التشميت؟!

قال عليه الصلاة والسلام في الحديث : «وإذا عطس فحمد الله فشمته»[١].

ويقول ﷺ : «إن الله يحبّ العطاس ، ويكره التثاؤب»[٢].

فالعطاس رحمة من الله ، والتثاؤب من الشيطان ؛ لأن العطاس فيه تفتيح لشرايين القلب ، وانشراح للصدر ، و... رحمة من الله ، والله أعلم بالسرّ في ذلك . فكان الواجب أن تقول : الحمد لله .

أما التثاؤب فإنك تكظم ما استطعت ، وقد قال ﷺ كما عند البخاري[٣] وأحمد[٤] : «إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله

(١) تقدم تخريجه في المقدمة.
(٢) أخرجه البخاري (٧/ ١٢٤).
(٣) صحيح البخاري (٧/ ١٢٥).
(٤) المسند (٢/ ٣٥٣).

وليقل له أخوه : يرحمك الله ، فإذا قال له يرحمك الله فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم».

وعند البخاري[١] ومسلم[٢] والترمذي[٣] وابن ماجة[٤] وأحمد[٥] عن أنس : «أنه عطس عنده رجلان فشمت أحدهما ، ولم يشمت الآخر ، فقال الذي لم يشمته : عطس فلان فشمته ، وعطستُ فلم تشمتني ، فقال : هذا حمد الله ، وأنت لم تحمد الله».

وعند مسلم[٦] وأحمد[٧] من حديث أبي موسى الأشعري أنه ﷺ قال : «إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمّتوه ، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه».

(١) صحيح البخاري (٧/ ١٢٥).
(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٢٩٢) رقم : (٢٩٩١).
(٣) سنن الترمذي (٥/ ٧٨) رقم : (٢٧٤٢) وقال الترمذي : حسن صحيح.
(٤) سنن ابن ماجة (٢/ ١٢٢٣) رقم : (٣٧١٣).
(٥) المسند (٣/ ١٠٠ ، ١١٧).
(٦) صحيح مسلم (٤/ ٢٢٩٢) رقم : (٢٩٩٢).
(٧) المسند (٤/ ٤١٢).

فَفُهم من الحديث أنه من قال : الحمد لله، فعلينا وجوباً أ نقول له : يرحمك الله، وإذا سكت ولم يحمد الله، فليس عليك أن تقول له : يرحمك الله، بل تسكت .

٢ـ هل التشميت فرض عين أم فرض كفاية؟!

ذهب المالكية ومنهم ابن أبي زيد وابن العربي إلى أ التشميت فرض عين، وهو الصحيح، فإن على أهل المجلس مثلاً ـ إذا سمعوا «الحمد لله» أن يقولوا : «يرحمك الله» لا يكفي منهم واحد، فهو فرض عين وليس فرض كفاية .

وكان من هديه ﷺ في العطاس ما ذكره أبوداود[١] والترمذي[٢] وأحمد[٣] وابن السني[٤] ـ وسنده حسن ـ كما أ الحاكم صححه[٥]، أنه كان إذا عطس وضع يده أو ثوبه على

(١) سنن أبي داود (٤/٣٠٧) رقم : (٥٠٢٩).
(٢) سنن الترمذي (٥/ ٨٠) رقم : (٢٧٤٥) وقال الترمذي : حسن صحيح.
(٣) المسند (٢/ ٤٣٩).
(٤) عمل اليوم والليلة ص (١٣٢) رقم : (٢٦٥).
(٥) المستدرك (٤/ ٢٦٤) والحديث صحّحه الألباني كما في صحيح

يه، وخفض أو غضّ به صوته . فالسنّة ألا يرفع المسلم صوته بالعطاس .

وهناك حديثان ضعيفان أشير إليهما :

الحديث الأول : «التثاؤب الشديد والعطسة الشديدة من الشيطان» . رواه ابن السني[١]، وهو ضعيف لا يصح عنه ﷺ .

الحديث الثاني : «إن الله يكره رفع الصوت بالتثاؤب والعطاس»[٢] . حديث ضعيف لا يصح عنه ﷺ .

وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبوداود[٣] بسند

الجامع رقم : (٤٧٥٥).
(١) عمل اليوم والليلة ص (١٣٢) رقم : (٢٦٤) والحديث ضعّفه الألباني كما في ضعيف الجامع رقم : (٢٥٠٥).
(٢) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٣٣) رقم :(٢٦٧). والحديث حكم عليه الألباني بالوضع كما في ضعيف الجامع رقم (١٧٥٦) .
قلت : وآفته علي بن عروة، قال الحافظ في التقريب ص (٤٠٣) : متروك من الثامنة .
(٣) سنن أبي داود (٤/٣٠٨) رقم : (٥٠٣٤، ٥٠٣٥) مرفوعاً

حسن: «شمّت أخاك ثلاثاً، فما زاد فهو زكام».

يعني أنه يعطس في المرة الأولى فيحمد الله، فقل له يرحمك الله. وفي الثانية قل له: يرحمك الله، وفي الثالثة قل له: يرحمك الله، وفي الرابعة قل له: عافاك الله.

وقد عطس رجلٌ عنده عليه الصلاة والسلام، فقال له: «يرحمك الله». ثم عطس أخرى فقال له ﷺ: «الرجل مزكوم»(١).

قال ابن القيم: وقوله في الحديث: «الرجل مزكوم» تنبيه على الدعاء له بالعافية؛ لأن الزكمة علة، وفيه اعتذار من ترك تشميته بعد الثلاث، وفيه تنبيه له على هذه العلة ليتداركها ولا يهملها، فيصعب أمرها، فكلامه ﷺ كله حكمة، ورحمة، وعلم، وهدى(٢).

= وموقوفاً. والحديث حسّنه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٣٧١٥).

(١) أخرجه مسلم: (٤/ ٢٢٩٣) رقم: (٢٩٩٣).

(٢) زاد المعاد (٢/ ٤٤١).

وقد قال ﷺ فيما رواه أبو داود(١) بسند حسن: «إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه، فإن زاد على الثلاثة فهو مزكوم، ولا تشمته بعد الثلاث».

وذكر أهل العلم أنه إذا زاد على الثلاث فيدعو لصاحبه بالعافية.

هنا مسألة: إذا لم تسمع أنت حمد العاطس، لكن سمع من بجانبه أنه حمد الله ـ فماذا تفعل إذا تبيّن لك أنه حمد الله؟ ولو لم تسمعه، فقل: يرحمك الله، أما إذا لم يتبين لك، فلا تشمته.

مسألة ثانية: هل تُذكّر العاطس إذا نسي الحمد؟

ذهب إلى ذلك نفرٌ من أهل العلم كالنووي وغيره من العلماء، واستحسنوا ذلك، وقد فعله إبراهيم التيمي، كما فعله أيضاً ابن المبارك، فقد عطس رجلٌ عند ابن المبارك ولم يحمد الله، فقال ابن المبارك: ماذا يقول الرجل إذا عطس؟

(١) سنن أبي داود (٤/ ١٠٨) رقم: (٥٠٣٥). والحديث حسّنه ابن القيم في زاد المعاد (٢/ ٤٤١).

قال : يقول : الحمد لله، قال : يرحمك الله، «هذا قول».

والقول الصحيح : أنه لا يلزمك أن تذكّره؛ لأنه لو كا
يلزمك أن تذكّره لكان النبي ﷺ أولى بتذكير من عطس ول
يشمته، ولم يذكّره، وهذا تعزير له وحرمان لبركة الدعاء، ل
حرم نفسه بركة الحمد[1].

وقد تعاطس الناس في مجلسه، ولم يذكّرهم عليه الصلا
والسلام، بل لم يشمتهم، وهذا هو القول الراجح.

وكان اليهود يتعاطسون عنده عليه الصلاة والسلام
فيقولون : الحمد لله، فيقول : «يهديكم الله، ويصلح بالكم»
رواه أبوداود[2] والترمذي[3] وأحمد[4] والبخاري في الأ

---

(١) انظر : زاد المعاد (٢/ ٤٤٢).
(٢) سنن أبي داود (٤/ ٣٠٨، ٣٠٩) رقم : (٥٠٣٨).
(٣) سنن الترمذي (٥/ ٧٦) رقم : (٢٧٣٩) وقال الترمذي : حـ
صحيح.
(٤) المسند : (٤/ ٤٠٠، ٤١١).

المفرد[1]، وصححه الترمذي والنووي والحاكم[2].

فانظر إلى الحكمة : اليهود بحاجة إلى الهداية، وليسوا أهلاً للرحمة، فهل يترحم عليهم وهم مخالفون؟!

لا . هم بحاجة إلى أن يهديهم الله أولاً، قبل أن يرحمهم، فعدل عليه الصلاة والسلام عن لفظ : «يرحمكم الله» إلى لفظ «يهديكم الله ويصلح بالكم».

❊ ❊ ❊

---

(١) الأدب المفرد رقم : (٩٤٠).
(٢) المستدرك (٤/ ٢٦٨).

خامساً : عيادة المريض

١ـ فضل عيادة المريض والدعاء له :

قال عليه الصلاة والسلام : «وإذا مرض فَعُده»(١) .

وهذا جسر آخر من جسور المحبة بين المسلمين، فمن ح المسلم على أخيه المسلم إذا مرض أن يعوده، والعيادة ل آداب، ولها فضل من الله ـ عز وجل ـ فقد روى مسلم(٢) ع ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : «من عاد مريضاً لم يزل ف **خُرفة الجنة حتى يرجع**». وفي لفظ : قيل : يا رسول الله، و خرفة الجنة؟ قال : «**جناها**». يعني كأنه يمشي في بسات الجنة. وقد عاد عليه الصلاة والسلام أصحابه، فقد عاد سعد ب أبي وقاص ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ ودعا له، وقال له : «ولعل **تُخَلَّف حتى يُنفعَ بك أقوام. ويُضرَّ بك آخرون**»(٣)

---

(١) تقدم تخريجه في المقدمة .

(٢) صحيح مسلم (٤/١٩٨٩) رقم : (٢٥٦٨).

(٣) أخرجه البخاري (٧/٦) ومسلم (٣/١٢٥١) رقم : (١٦٢٨).

وعاد عليه الصلاة والسلام جابراً ـ رضي الله عنه ـ فوجده مغمى عليه فتوضأ عليه الصلاة والسلام وصبَّ عليه الماء فاستفاق .

وعاد عليه الصلاة والسلام أعرابيًا ـ كما في الصحيح ـ فلما دخل عليه ﷺ قال : «**لا بأس طهور إن شاء الله**». فقال الأعرابي : كلا، بل هي حُمى تفور على شيخ كبير تُزيره القبور. فقال عليه الصلاة والسلام : «**فنعم إذن**»(١)، فكانت هالكته وقاصمته .

وكان ﷺ إذا عاد مريضاً دعا له، وجلس قليلاً عند رأسه، ووضع يده الكريمة على صدره، وهذا من الأنس والملاطفة .

٢ـ آداب العيادة :

العيادة عند أهل السنَّة كل ثلاثة أيام، إلا أن يكون قريباً كالأب والابن والأخ ومَنْ في حكمهم، أما إذا كان غير ذلك، فإنك تزوره كل ثلاثة أيام، أما أن تأتيه كل يوم، أو تأتيه مرة في

---

(١) أخرجه البخاري : (٧/٧).

الصباح ومرة في المساء فهذا مزعج!

وقد ذكر الذهبي في ترجمة سليمان بن مهران الملقـ
«بالأعمش» أنه مرض مرضاً مزمناً، فدخل عليه الناس
وترددوا عليه كثيراً فأزعجوه، فكتب وصف مرضه في ورقـ
ووضعها تحت مخدته التي ينام عليها، فكان كلما سأله أحـ
عن مرضه، أخرج هذه الورقة، وقال له: اقرأ!

فلما كثر الناس عليه، قفز فأخذ المخدة، وجعلها تحـ
إبطه، ووقف وقال: شافى الله مريضكم!

وعلى المسلم أن يتحرّى وقت العيادة، بحيث يكون مناسـ
للمريض، فلا يكون عند نومه، ولا عند طعامه، ولا عـ
صلاته، ولا في وقت يرى أنه يرتاح فيه المريض، بل يتوخـ
وقت العيادة المناسب.

ومن آداب العيادة أنك لا تطيل الجلوس عند المريض، فإ
بعض الناس إذا زار المريض زاده مرضاً على مرضه، فيقـ
الساعة والساعتين! وهذا ليس من أدب العيادة.

فإذا عُدت المريض وكان مرضه خفيفاً، حسّنت له صحتـ
وهوّنت عليه مرضه، وقلت: ما شاء الله، ما كنت أظن أنك

هكذا.. صحتك طيبة.. وحالك طيبة، شافاك الله وعافاك، فربما تخرج من هذا المرض ـ إن شاء الله ـ ونحو ذلك من الكلام، لا أن يأتي العائد بوجه آخر، فيزيد المريض مرضاً على مرضه، فبعض الناس ـ هداهم الله ـ يشعر المريض أنه في أسوأ حال، وأن مرضه ليس له علاج البتة، وأنه يجب عليه أن يوصي بماله، ويوزّع تركته! وهكذا حتى يجعل المريض في عداد الموتى!

وهذا خطأ، فالحالة النفسية لها دورها، فأنت إذا أشعرته أنه سليم معافى، يمكن أن يكون ذلك سبباً في شفائه ـ بإذن الله ـ ولذلك كان النبي ﷺ إذا عاد مريضاً قال له: «لا بأس طهور إن شاء الله». ونحو ذلك كما تقدم في عيادته للأعرابي.

ولكن يقول أهل العلم: إذا وصلت إلى رجل أصبح قريباً من الآخرة، ومرض مرضاً لا يرجى برؤه، فحسِّنْ ظنه بالله، وحسِّن قدومه على الله، وحسِّن رجاءه في الله، هذه هي السنّة في العيادة.

قال أحدهم:

مرض الحبيبُ فعدتُه
فمرضتُ من خوفي عليه

وأتـــى الحبيـــبُ يعـــودنـــي
فشفيـــتُ مـــن نظـــري إليــ

وقال آخر وهو القاضي الحنفي الشهرزوري :

والله مـــا جئتكـــم زائـــراً إلا
وجـــدت الأرض تطـــوى لـــ

لا انثنـــى وجهـــي عـــن بـــابكـــم
إلا تعثـــرتُ بـــأذيـــالـــ

ويقول أبو تمام:

إذا مـــرضنـــا أتينـــاكـــم نعـــودكـــم
وتُـــذنبـــون فنـــأتيكـــم ونعتـــذ

وقال آخر في ذكره سبحانه :

إذا مـــرضنـــا تـــداوينـــا بـــذكـــركُـــم
ونتـــرك الـــذكـــر أحيـــانـــاً فننتكـــس

ولا يكثر العائد عند المريض من ذكر الدنيا، وكثرة المزاح ولا من الكلام الذي لا يليق، ولكن يخفف الزيارة ويذهب .

* * *

سادساً : اتباع الجنازة

ا. فضل اتباع الجنازة :

يقول ﷺ في الحديث : «وإذا مات فاتبعه»(١)، ضريبة المسلم على المسلم!! حتى بعد أن أصبح جثماناً، وأصبحت روحه في عليين، تتبعه وتقوم بحقوقه، وتشفع له وأنت تصلي على جنازته، وتترحم عليه وهو في الثرى، وتواصله بالدعاء، وتدعو له بظهر الغيب .

هذه أخوة الإسلام، وهذا ميثاق الإيمان، وتلك حقوق المسلم على المسلم التي لا تقتصر على الحياة فقط، بل تشمل المسلم بعد موته أيضاً. قال عليه الصلاة والسلام كما عند الترمذي بسند ضعيف : **«من تبع جنازة وحملها ثلاث مرات، فقد قضى ما عليه من حقها»**(٢).

ولكن في الصحيحين أنه قال : **«من شهد الجنازة حتى**

(١) تقدم تخريجه في المقدمة .
(٢) أخرجه الترمذي (٣/ ٣٥٩) رقم: (١٠٤١) وقال الترمذي: غريب. والحديث ضعفه الألباني كما في ضعيف الجامع رقم: (٥٥١٣).

يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان». قيل: وما القيراطان؟ قال: «مثل الجبلين العظيمين»[١].

فانظر ما أسهل العمل، وأعظم الأجر.

٢ـ آداب الجنازة والعزاء:

من السنة أن يمشي أمام الجنازة، وفي هذا تفضيل، قال ابن عمر عند الخمسة[٢]، وصححه ابن حبان[٣]، وأعلّه النسائي بالإرسال: «رأيت النبي ﷺ وأبا بكر وعمر يمشون أمام الجنازة». فالسنة المشي أمام الجنازة، لكن الراكب يمشي خلفها، والماشي أمامها، وإن مشى خلفها فلا بأس.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٩٠) ومسلم (٢/ ٦٥٢) رقم: (٩٤٥).

(٢) أخرجه أبوداود (٣/ ٢٠٥) رقم: (١٣٧٩) والترمذي (٣/ ٣٢٩) رقم: (١٠٠٧، ١٠٠٨) والنسائي (٤/ ٥٦) رقم: (١٩٤٤، ١٩٤٥) وقال النسائي. هذا خطأ، والصواب مرسل. وابن ماجه (١/ ٤٧٥) رقم: (١٤٨٢) وأحمد (٢/ ٨). وانظر في الكلام على صحة هذا الحديث: التلخيص الحبير (٢/ ١١٨، ١١٩).

(٣) الإحسان (٧/ ٣١٧) رقم: (٣٠٤٥).

وقالت أم عطية ـ كما في الصحيحين[١]: «نهينا عن اتباع الجنائز ولم يُعزم علينا». فالواجب أن يُنهى النساء عن اتباع الجنائز؛ لأن المرأة ضعيفة، وتصاب بالجزع، وربما تفتن، وربما تتسخط على قضاء الله وقدره، فليس للمرأة ـ ولو كانت عجوزاً ـ اتباع الجنازة، ولا زيارة القبور.

وهنالك عادات تخالف الشرع، نبّه عليها أهل العلم، وكتبوا فيها، وبيّنوا الخطأ، ونبّهوا عليه، وأشاروا إلى الصواب فجزاهم الله خيراً، ومن هذه العادات:

* الاجتماع على العزاء، ونصب الخيام والولائم، والقيام بالصياح والنياحة، وضرب الوجه، وشق الجيب، وكذلك الجزع من القضاء والقدر.

* ومن المخالفات الشرعية أيضاً: أن يمزح بعض الناس في العزاء، أو أن يضحكوا مما يثير انتباه الحضور، أو يتحدثوا بإسهاب في أمور الدنيا، إلى غير ذلك من الصور المخالفة

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٧٨) ومسلم (٢/ ٦٤٦). رقم: (٩٣٨).

للشرع التي بيّنها ونبّه عليها العلماء .

هذه بعض جسور المحبة التي أتى بها محمد ﷺ، والتي
اتصف بها أصحابه رضوان الله تعالى عليهم فحققوا هذه
الصفات في عالم الواقع . وكانت استجابتهم استجابة فذة من
كل جوانبها، وهم الذين امتلأت قلوبهم بهذه الأخلاقيات حتى
أعماقها، فآتت ثمارها بإذن الله، فوصلوا بذلك إلى القمة التي
لا يحسن صعودها إلا من أحسن العبودية لله، وتمسك بكتاب
الله وبسنة رسوله ﷺ، واتصف وتخلق بأخلاق الإسلام .

والحمد لله . . . ما زال الباب مفتوحاً، وما زالت البضاعة
مطروحة أمام الجميع، وليس علينا إلا أن نتاجر مع الله ـ عز
وجل ـ ولا يكون ذلك إلا بالتخلّق بأخلاقيات هذا الجيل
العظيم، وإذا فعلنا ذلك فسوف نصل إلى أرقى صورة بشرية
يمكن أن يصل إليها الإنسان على وجه الأرض، صورة الإنسان
الذي توشك أن تصافحه الملائكة ! !

* * *

فن تأليف الأرواح

أولاً: مثلٌ عليا تربَّى عليها الصحابة

أما فن تأليف القلوب فنستمده بسند صحيح من سيرة النب
محمد ﷺ، من ميراثه، من دعوته، نتذاكره ونتعلمه، ونترب
عليه، كما تربى عليه السابقون الأولون من سلفنا ـ رضوان ا
تعالى عليهم. وسوف نذكر بعضاً من العناصر التي يقوم علي
بناء هذا الفن الجليل.

١ـ كظم الغيظ:

ذكر الله ـ عز وجل ـ في محكم كتابه أصول هذا الفن
وذكرها رسولنا عليه الصلاة والسلام بكلامه وبعمله وبأخلا
الشريفة العالية ﷺ، فقال المولى جلَّت قدرته
﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِ
الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

قال أهل العلم: ثلاث منازل للمبتدئين والمقتصد
والسابقين بالخيرات:

المنزلة الأولى: من أسيء إليه فليكظم، وهذه در

المقصرين من أمثالنا من المسلمين، أن يكظم غيظه، ولا
يشتفي لنفسه في المجالس ولا يتعرض للأعراض.

المنزلة الثانية: فإن زاد وأحسن ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾
يذهب إلى من أساء إليه ويقول له: عفا الله عنك.

المنزلة الثالثة: فإن زاد وأحسن ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
يذهب بهدية أو بزيارة إلى من أساء إليه، ويصافحه ويقبِّله.

قال أهل السيرة: قام خادم على هارون الرشيد بماء حار
يسكب عليه، فسقط الإبريق بالماء الحار على رأس الخليفة
أمير المؤمنين.. حاكم الدنيا!! فغضب الخليفة، والتفت إلى
الخادم.

فقال الخادم ـ وكان ذكيًا ـ: والكاظمين الغيظ!

قال الخليفة: كظمتُ غيظي..

قال: والعافين عن الناس!

قال: عفوتُ عنك..

قال: والله يحب المحسنين.

قال : اذهب فقد أعتقتك لوجه الله ! !

٢ـ نزع الغل والبغضاء :

في معركة الجمل خرجت عائشة وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين ـ وخرج الصحابة معهم بالسيوف وخرج علي ـ رضي الله عنه ـ ومعه بعض الصحابة من أهل ب ومعهم السيوف يلتقون! قيل لعامر الشعبي : الله أكبر! يلتق الصحابة بالسيوف ولا يفرُّ بعضهم من بعض؟ قال : أهل الج التقوا فاستحيا بعضهم من بعض! فلما قتل طلحة في المعرك وكان في الصف المضاد لعليٍّ ـ نزل عليٌّ من على فرسه وتر السيف، وترجّل نحو طلحة، ونظر إليه وهو مقتول ـ وطلح أحد العشرة المبشرين بالجنة ـ فنفض التراب عن لحية طلح وقال : **يعزُّ عليَّ يا أبا محمد أن أراك على هذه الحال، ولكن أس الله أن يجعلني وإياك ممن قال فيهم سبحانه وتعالى :** ﴿وَنَزَعْنَا مَا صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر : ٤٧].

فانظر إلى الصفاء، والنقاء، وانظر إلى العمق، وانظر إ الروعة! وهم يقتتلون، والدماء تسيل وعليٌّ يحتضن طلح

يسلّم عليه، ويذكّره أنه سوف يجلس معه في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، حقًّا إنه مشهد رائع، وأنموذج باهر.

هذا الأنموذج الحي يدلنا دلالة واضحة على أن هؤلاء البشر لم يخرجوا عن بشريتهم، ولم يكونوا يوماً من الأيام ملائكة، ولكنهم كانوا في أروع صورة بشرية عرفتها الدنيا.

* مرَّ على ابن السمّاك صاحبٌ له عتب عليه، فقال لابن السماك : غداً نتحاسب ـ يعني غداً ألتقي معك أحاسبك وتحاسبني، وألومك وتلومني، ونعرف من هو المخطئ منا ـ

قال ابن السماك : لا والله، غداً نتغافر!

فالمؤمنون لا يتحاسبون، ولا يقول أحدهم للآخر : أنت أخطأت فيَّ كذا.. وقلتَ كذا، وسمعتُ أنك تغتابني.. و.. و.. إلخ، لا.. هذا أسلوب خاطئ، والصحيح أن يقول له : «غفر الله لك».

٣ـ بذل الأعراض والأموال في سبيل الله :

لقد وصل هذا الجيل المبارك إلى حدٍّ أن يقوم أحدهم وهو

أبو ضمضم يصلي في الليل ثم يتوجه إلى الله ـ تعالى ـ بالدعا
قائلاً : اللهم إنه ليس لي مال أتصدق به في سبيلك ، ولا جس
أجاهد به في ذاتك ، ولكني أتصدق بعرضي على المسلمين .
اللهم من شتمني ، أو سبّني ، أو ظلمني ، أو اغتابني ، فاجعله
له كفارة !!

ويُروى أن النبي ﷺ حثَّ على الصدقة ذات يوم ، فقام عل
ابن زيد فقال : يا رسول الله ! حثثتَ على الصدقة ، وما عندي
إلا عرضي ، فقد تصدقت به على من ظلمني ، قال : فأعرض
عنه رسول الله ﷺ . ولما كان في اليوم الثاني قال : «أين عل
ابن زيد ، أو أين المتصدق بعرضه ، فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ ق
قبل ذلك منه»(١) .

فهذا هو التصدق بالأعراض ، ولابد أن يبذل الدعاة وطل
العلم أعراضهم كما بذلها محمد ﷺ ، فإنه بذل عرضه وما

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار وفيه محمد ب
سليمان بن مشمول وهو ضعيف .

دمه لهذه الدعوة الخالدة ، فعسى الله أن يجعل دماءنا وأنفسنا وأعراضنا وأموالنا وأبناءنا وأهلنا فداء لـ «لا إله إلا الله محمد رسول الله» .

١ـ تحمل زلات الغير :

ذكر الغزالي ـ صاحب الإحياء ـ أن الحسن البصري ـ رحمه الله ـ جاءه رجل فقال : يا أبا سعيد ، اغتابك فلان ! ، قال : تعال ، فلما أتى إليه أعطاه طبقاً من رطب ، وقال له : اذهب إليه وقل له : **أعطيتنا حسناتك ، وأعطيناك رطباً ! فذهب بالرطب إليه !**

فالمقصود من هذا أن الدنيا أمرها سهل وهيِّن ، وأن بعض الناس يتصدق بحسناته ، فلا عليك مهما نالك حاسد ، أو ناقم ، أو مخالف ، أو منحرف ! فاعتبر ذلك في ميزان حسناتك ، واعلم أن ذلك رفعة لك .

* ويُروى في سيرة موسى عليه السلام أنه قال : يا رب ، أريد منك أمراً ! قال : ما هو يا موسى ؟ ـ والله أعلم به ـ قال : أسألك أن تكف ألسنة الناس عني ! قال الله ـ عز وجل ـ : يا موسى ، وعزتي وجلالي ، ما اتخذتُ ذلك لنفسي ، إني

أخلقهم وأرزقهم وإنهم يسبونني ويشتمونني!! سبحان الله! الله، الرحمن، الأحد، الفرد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كُفُواً أحد، يُسبُّ من الناس!! هذا المخلوق الضعيف، الذليل الحقير، الحشرة، يخرج نطفة، ثم يسبُّ الله ويشتمه ـ جل وعلا؟!

وفي البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ـ تعالى ـ شتمني ابن آدم، وما ينبغي له أن يشتمني، ويكذِّبني وما ينبغي له! أما شتمه فقوله: إن لي ولداً، وأما تكذيبه فقوله: ليس يعيدني كما بدأني»[1].

* وعند أحمد في كتاب الزهد أن الله ـ عز وجل ـ يقول: «عجباً لك يا ابن آدم، خلقتك وتعبد غيري! ورزقتك وتشكر سواي! أتحبب إليك بالنعم، وأنا غني عنك! وتتبغض إليّ بالمعاصي، وأنت فقيرٌ إليّ! خيري إليك نازل، وشرُّك إليّ صاعد».

فما دام أن الواحد الأحد ـ سبحانه وتعالى ـ يسبُّه ويشتمه

---

(١) البخاري (٤/ ٧٣).

بعض الأشرار من خلقه ـ فكيف بنا نحن، ونحن أهل التقصير؟!

إذا عُلم هذا فإنه خير دليل على المثل العليا التي حملها أصحابه عليه الصلاة والسلام ـ ورضي الله عنهم ـ فتراضوا واختلفوا كما يختلف البشر، وأتت بينهم نفرةٌ في أيام من حياتهم! ولكنهم عادوا في صفاء، وفي عناق، وفي صبور، وفي محبة؛ لأن المبدأ الذي يحملونه مبدأ واحد، وليس مبادئ متعددة، فمبدؤهم: «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

وما حصل بينهم دليل على أنهم لم يخرجوا عن بشريتهم، ولم يصبحوا ملائكة، ولم يخرجوا من عموم قوله ﷺ: «كل بني آدم خطاء»[1].

ولم يصبحوا كذلك صفحات بيضاء لا أثر فيها ولا نقيصة،

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٦٩) رقم: (٢٤٩٩) وقال الترمذي: حديث غريب. وابن ماجه (٢/ ١٤٢٠) رقم: (٤٢٥١) والدارمي (٢/ ٣٩٣) رقم: (٢٧٢٧) وأحمد في المسند (٣/ ١٩٨) والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وحسّنه الألباني كما في صحيح الجامع رقم: (٤٥١٥).

كلا ما كانوا كذلك!

كانوا بشراً تعتمل في نفوسهم دوافع البشر، ويتحركون في الأرض بدوافع البشر، ولكنها دوافع البشر في أصفى حالاتها وأعلاها، دوافع البشر حين يتخففون إلى أقصى حدٍّ من ثقلة الأرض، فيصعدون أقصى ما يتاح للبشر من الصعود.

كانوا يعملون.. فإذا هبطت بهم ثقلة عن المستوى السامق لم يستكينوا للهبوط، وإنما عادوا يعملون للصعود من جديد.. فيصعدون ويصعدون.

وفي سيرة أبي بكر - رضي الله عنه - أن رجلاً قال لأبي بكر: والله يا أبا بكر لأسُبَّنَّك سباً يدخل معك في قبرك، قال أبوبكر: بل يدخل معك قبرك أنت لا معي!!

صدق - رضي الله عنه وأرضاه - فإن المسبوب لا يدخل معه السبُّ، ولكن يدخل السبُّ مع السابّ الذي سلّط لسانه على عباد الله. أفيظن هذا الجاهل أنه إذا سبّ أو شتم أو نال من أبي بكر أن شتمه هذا سوف يدخل مع أبي بكر القبر؟! فهذا جهل وأي جهل!!

ثم انظر وتأمل جواب أبي بكر عليه «**بل يدخل معك قبرك ولا يدخل معي**» فقط كان هذا جوابه؟! ولم يقل له: بل سأسبك سبًا يدخلك قبرك! وسأفعل بك كذا!! وسأريك كذا!! الخ، لا بل «يدخل معك قبرك»!

وقول أبي بكر وتصرفه هو الصحيح، فإن الكلمة العوراء والكلمة الآثمة، والكلمة الجارحة، تكون وبالاً وحسرة وندامة على من تجرأ وجرح ونال بها من أخيه.

٥- إنهاء الخصام والسعي إلى الصلح:

قال رجل لعمرو بن العاص: والله لأتفرَّغنَّ لك!

قال عمرو: إذن تقع في الشغل!

وهذا هو الحق، فإن الذي يتفرغ لينال من الناس، ويشتم الناس، ويكيد للناس، هذا لا يكون فارغاً أبداً! وإنما يشغله الله بالناس! وهذا يضيّع عمره في الترهات والتفاهات وما لا ينفع!

وقول عمرو بن العاص - رضي الله عنه وأرضاه - هو الصواب، وهو الحكمة ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]. ويروي أهل الحديث أن عامر

الشعبي ـ وهو من علماء التابعين المشهورين ـ قام أمامه رجل وقال له : كذبت يا عامر! .

فقال عامر : إن كنتَ صادقاً فغفر الله لي، وإن كنتَ كاذبا فغفر الله لك!!

فماذا قال الرجل بعدها يا ترى؟!

سكت!! لأن من استطاع أن ينهي الخصام، وأن يجعل للصلح موضعاً، وألا يستعدي الناس خاصة أهل الفضل وأهل المنزلة وأهل الصدارة والمكانة، كان محسناً على نفسه، وعلى الإسلام، وعلى المسلمين.

٦ـ محاسبة النفس :

في مسيرة سالم بن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهم أجمعين أن رجلاً زاحمه في منى، فالتفت الرجل إلى سالم ـ وسالم علاّمة التابعين ـ فقال له : إني لأظنك رجل سوء. فقال سالم: ما عرفني إلا أنت! لأن سالماً ـ رضي الله عنه ـ يشعر في نفسه أنه رجل سوء، وهذا صواب لأن المؤمن يرمي نفسه بالتقصير كلما رآها تعالت أو تطاولت أو نسيت، كما أنه يلوم نفسه

ويحاسبها . لكن الفاجر والمنافق يزكي نفسه أمام الناس!

وكان سعيد بن المسيّب يقوم وسط الليل ويقول لنفسه : قومي يا مأوى كل شر!

سعيد بن المسيب يقول لنفسه هذا الكلام!! ونحن ماذا نقول لأنفسنا؟ اللهم استرنا بسترك.

وفي قصة ثابتة بأسانيد صحيحة، قام رجل في الحرم أمام ابن عباس ـ حبر الأمة وترجمان القرآن ـ فسبّه أمام الناس، وابن عباس ينكس رأسه!! أعرابيٌّ جلف يسبُّ علامة الدنيا ولا يردُّ عليه.. وواصل الأعرابي الشتم، فرفع ابن عباس رأسه وقال : أتسبني وفيّ ثلاث خصال؟!

قال : ما هي يا ابن عباس؟

قال : والله ما نزل المطر بأرض إلا سررت بذلك، وحمدت الله على ذلك، وليس لي بها ناقة ولا شاة!!

قال : والثانية؟

قال : ولا سمعتُ بقاضٍ عادلٍ إلا دعوتُ الله له بظهر الغيب وليس لي عنده قضية!!

قال : والثالثة؟

قال : ولا فهمتُ آية من كتاب الله إلا تمنيت أن المسلمين يفهمون كما أفهم منها!!

هذه هي المثل العليا التي حملها أصحابه عليه الصلاة والسلام، وهو الذي ربَّاهم أصلاً على أسس العقيدة وأخلاق الإيمان، وإلا فهم أمة أمية خرجت من الصحراء، لكنه ﷺ بناهم شيئاً فشيئاً، ورصَّع مجدهم، واعتنىٰ بهم، حتى أصبحوا قادة للأمم، وقدوة حسنة للناس!

وقالوا في المثل : «من لك بأخيك كلِّه» تريد أخاً مهذباً كلَّه لا، هذا لا يكون.. خذ بعضه، خذ نصفه، خذ ثلثه، خذ ثلثيه.

فهل وجدتَ في المجتمع المسلم شخصاً ـ مهما بلغ من الرقي وحسن الخلق ـ أن يكون كاملاً، لا حيف فيه ولا نقص؟! كلا، هذا لا يكون ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ﴾ [النور : ٢١].

تجد هذا كريماً لكنه غضوب! وتجد هذا حليماً لكنه بخيل! وتجد هذا طيباً لكنه عجول! لأن الله وزَّع المناقب والمثالب على الناس.

من ذا الذي تُرضى سجاياه كلُّها
كفى المرء نبلاً أن تُعدَّ معايبُه

فإذا عُدَّت معايب الإنسان فاعلم أنه صالح، ولكن بعض الناس لا تستطيع أن تعد معايبه أبداً مهما حاولت!!

وبعضهم لخيره وصلاحه، تقول : ليس فيه إلا كذا، وهذا هو الخيِّر، ومن غلبت محاسنه مساوئه فهو العدل في الإسلام.

ومن غلبت مساوئه محاسنه، فهو المنحرف عن منهج الله ـ عز وجل ـ لأن الله يزن الناس يوم القيامة بميزان آية الأحقاف، يقول تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف : ١٦].

فبيَّن الله في الآية أن لهم مساوئ، وأنه يتجاوز عنهم ـ سبحانه وتعالى ـ وأن لهم خطايا، وأن لهم ذنوباً، ولكنهم كما يقول الحديث : «**إذا بلغ الماء قُلتين لم يحمل الخبث**»(١).

(١) أخرجه أبو داود (١/ ١٧) رقم : (٦٣، ٦٤، ٦٥) والترمذي (١/ ٩٧) رقم : (٦٧) والنسائي (١/ ١٧٥) رقم : (٣٢٨) والحديث صحيح، صححه ابن خزيمة، والحاكم، وابن حبان والشيخ أحمد شاكر في تعليقه =

فبعض الناس ماؤه قليل .. أي شيء يؤثر فيه، قطرة تؤثر فيه! ولكن بعضهم لمحاسنه ومناقبه بلغ قلتين، فمهما وضعت فيه لا يتغير أبداً لكرمه، وبذله، وعطائه، وعلمه، وسخائه، وفضله، ودعوته، وخيره، وصلاحه، وصدق نيته، إلى غير ذلك من الصفات . وهذا تأتيه أحياناً نزغات من نزغات الشيطان، لكنها لا تؤثر فيه .

ولذلك يقول ابن تيمية ونقلها ابن القيم عنه في مدارج السالكين : أما موسى عليه السلام فإنه أتى بالألواح فيها كلام الله ـ عز وجل ـ فألقاها في الأرض، وأخذ برأس أخيه يجره إليه . يقول ابن تيمية : أخوه كان نبيًا مثله، ومع ذلك جره بلحيته أمام الناس، ولكن عفا الله عنه!

قال ابن القيم :

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد

جاءت محاسنه بألف شفيع

= على سنن الترمذي (١/ ٩٨) والألباني في إرواء الغليل رقم : (٢٣) .

وفي حديث رواه البيهقي بسند حسن، قال : «**أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم**»[1] .

قال ابن القيم : إلا الحدود، وهذه عبارة ثبتت في بعض الروايات من لفظه ﷺ[2] . فإن الناس متساوون في الحدود، لكن في المسائل التي ليس فيها حدود، فعلينا أن نقيل صاحب العثرة ـ من أهل الهيئات ـ عثرته، وأهل الهيئات هم الذين لهم قدم صدق في الإسلام، وفي الدعوة، وفي الخير، وفي الكرم، وفي الصدارة، وفي التوجيه، وفي التأثير، وهم وجهاء الناس، وأهل الخير، وأهل الفضل، فهؤلاء إذا بدرت منهم بادرة فعلينا أن نتحملها جميعاً، وعلينا أن ننظر إلى سجل حسناتهم، وإلى دواوين كرمهم، ومنازلهم عند الله وعند خلقه .

يقول بشار بن برد :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً

صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

---

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ١٣٣) رقم : (٤٣٧٥) وأحمد (٦/ ١٨١) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم : (١١٨٥) .

(٢) كما في لفظ الإمام أحمد في المسند .

ويقول في بيت آخر :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى
ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

فصاحب أخاك، وتحمَّل منه الزلة، واغفر له العثرة، وتجاوز عن خطئه .

وكان ابن المبارك إذا ذكر له أصحابه قال : من مثل فلان **فيه كذا وكذا من المحاسن، ويسكت عن المساوئ .**

وليتنا نتذكر حسنات الناس، فما أعلم أحداً من المسلمين مهما قصّر إلا وله حسناته، ولو لم يكن من حسناته إلا أنه يصلي، ولو لم يكن من حسناته إلا أنه يحب الله ورسوله المصطفى ﷺ لكفى .

* يؤتى برجل يشرب الخمر إلى الرسول ﷺ فأمر به فَجُلِد، وكان قد أتي به كثيراً . فقال رجل من القوم : اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به . فقال المعلّم العظيم ﷺ : «**لا تلعنوه فوالله ما**

علمتُ أنه يحبُّ الله ورسوله»[1] .

وفي لفظ : قال رجل : ما له أخزاه الله . فقال رسول الله ﷺ : «**لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم**»[2] .

فأثبت له ﷺ أصل الحب، وهي حسنة، وأثبت له بقاءه في دائرة الأخوة الإسلامية، وهذه من أعظم الحسنات، فلماذا لا نذكر للناس محاسنهم وبلاءهم في الإسلام؟!

إنك لا تجد شريراً خالصاً إلا رجلاً كفر بالله، أو تعدى على حدوده، أو أعلن الفجور، أو خلع ثوب الحياء، أو عادى الأولياء والأخيار والصالحين، ونبذ الإسلام وراءه ظهريًّا .

* * *

(١) أخرجه البخاري (٨/ ١٤) .
(٢) البخاري (٨/ ١٥) .

ثانياً : المنهج الإسلامي لنبذ الخلاف

أمثلة تطبيقية :

مرّت نماذج خيّرة في حياته عليه الصلاة والسلام، سطّرها أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ ومن هذه النماذج :

١ـ الخلاف بين بلال وأبي ذر :

فهذا أبوذر ـ رضي الله عنه ـ عيّر بلالاً بأمه، فشكاه بلال إلى النبي ﷺ ثم ندم أبوذر على ما بدر منه من قول، فوضع خدّه على التراب، وقال لبلال : **والله لا أرفع خدي حتى تطأه بقدمك! فتعانقا وتصافحا.**

٢ـ الخلاف بين المهاجرين والأنصار :

* كاد المهاجرون والأنصار أن يقتتلوا وذلك بعد الإسلام! وسلّوا السيوف، وتهيئوا للقتال ! فخرج عليهم الرسول ﷺ وقال : **«ما بال دعوى جاهليّة»** ثم قال : **«دَعُوها فإنها مُنتنةٌ»**(١). فبكوا، وأسقطوا السيوف من أيديهم، وتعانقوا فهذ

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٦٥، ٦٦).

الأخوة المعتصمة بالله نعمة يمتن الله بها على المسلمين، وهي نعمة يهيئها الله لمن يحبهم من عباده، وما كان إلا الإسلام وحده يجمع هذه القلوب المتنافرة، وما كان إلا حبل الله الذي يعتصم به الجميع، فيصبحون بنعمة الله إخواناً، وما يمكن أن يجمع القلوب إلا أخوة في الله تصغر إلى جانبها الأحقاد التاريخية، والثارات القبلية، والأطماع الشخصية، والرايات العنصرية!

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران : ١٠٣].

* ذكر أهل التاريخ بسند صحيح أن الصحابة خرجوا في غزوة بني المصطلق، وكان لعمر مولى اسمه جهجاه، فقام فاختصم مع رجل من الأنصار اسمه سنان بن وبرة، فغضب الأخير غضباً شديداً حتى تصايحا، فقال مولى عمر : يا للمهاجرين! وقال الأنصاري : يا للأنصار! فبلغت في النفوس حزازات، وأخبروا بها رأس النفاق عبدالله بن أبي بن سلول فقال : صدق المثل القائل : جوّع كلبك يتبعْك، وسمّن

كلبك يأكُلْك! لو أنا صرفناهم عن دارنا ما فعلوا هذا، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، وبلغت الكلمة رسول الله ﷺ فأخبره بها زيد بن الأرقم، وأتى ﷺ فأمر أصحابه بالرحيل لئلا يتحدث أهل النفاق في القضية، فأهل النفاق يحبون الشائعات، وهناك أناس في المجتمع لا همَّ لهم إلا نشر الشائعات، وتصيد العثرات والزلات، فيصنفون فيها المصنفات، ويزيدون فيها، ويتشاغلون بها، ويلغون في الأعراض كما يلغ الكلب في الماء.

فانظر إلى التصرف الحكيم منه ﷺ بأن أمر الصحابة بالرحيل لئلا يتحدثوا في المسألة، فيشغلهم بذلك!

ولذلك فمن أعظم الحلول التي تدحض الشائعات، وتنهي ما قد يحدث بين الأحبة، أن تشغل الناس بالجدِّ، وبالعلم، وبالمسائل العلمية، وتطرح عليهم قضايا الأمة الكبرى، لأن قضايا الأمة والإسلام أعظم من قضايانا هذه، وأعظم من المهاترات.

قضايا نشر الإسلام، قضايا محاربة اليهودية العالمية، والعَلْمانية والشيوعية والنصرانية، قضايا تأليف هذه الأمة

المقدسة الخالدة التي جعلها الله أمة وسطاً، شاهدة على الأمم، تعمل بالكتاب والسنَّة.

وأتى ﷺ إلى سعد بن عبادة فأخبره بالخبر، فقال: يا رسول الله، والله إن شئت لنقتلنه، أو لنمنعنه من دخول المدينة، فإنك الأعز، وهو الأذل. فقال عمر: ائذن لي أن أقتله يا رسول الله، فقال ﷺ: **«يا عمر، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»**[١].

هذا هو المنهج الصحيح في التعامل مع الخصوم في هذه المرحلة من مراحل الدعوة المباركة، فالنبي ﷺ عنده منهج دعوي يسير عليه، يريد مصلحة هذه الدعوة، ما عليه من دمه ولا من نفسه، ولا من ماله، ولا من زوجه، ولا من أهله، لأنه يريد للدعوة أن تستمر، وأن يستفيد الناس، وأن يسمع الناس، وأن يتعظ الناس، وأن يهتدي على يديه بشرٌ كثيرٌ، أما قضية الانتقام الشخصي أو أن يقوم الإنسان ويغضب لنفسه،

(١) أخرجه البخاري (٦/٦٦، ٦٧) وسياق القصة غير هذا السياق.

فليست من صفاته ﷺ.

ومنع عليه الصلاة والسلام عمر، فأتى عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول فقال: **يا رسول الله، سمعت أنك تريد قتل أبي، فإنك إن أرسلت رجلاً لقتل أبي، والله لا تطمئن نفسي أن أرى قاتل أبي يمشي على وجه الأرض حتى أقتله، لكن يا رسول الله ائذن لي أن أذهب الآن وآتيك برأس أبي! والله يا رسول الله لئن شئت لأقتلنه، فإنك الأعز وهو الأذل!!**

انظر إلى الإسلام! وإلى عظمة الانتساب إليه؛ فَصَلَ بين الولد وأبيه، وهو من صلبه، من دمه، من عروقه!

ثم انظر إلى الإيمان الذي تغلغل في أحشاء هذا الصحابي الجليل، وتسرب إلى عروقه ومشاعره، وجرى منه مجرى الروح والدم!

حقًا، بـ «**لا إله إلا الله محمد رسول الله**» يظهر من روائع الإيمان واليقين والشجاعة، وخوارق الأفعال والأخلاق، ما يحيّر العقول والألباب، ويعجز عن تفسيره أهل البصائر والعقلاء.

ويموت هذا الشقي، فيجيء ابنه عبدالله بن عبدالله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفِّنُ فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلِّي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلِّي عليه؟! فقال رسول الله ﷺ: «**إنما خيَّرني الله فقال**: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] **وسأزيده على السبعين**».

قال عمر: إنه منافق!! فصلَّى عليه رسول الله ﷺ وصلى معه المسلمون. فأنزل الله عليه قوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[1] [التوبة: ٨٤].

* ويأتي إلى الرسول ﷺ متخلفون من المنافقين الذين أساءوا وتركوا الغزو، وخالفوا أمره، وعصوا الله، فيقول

(١) انظر صحيح البخاري (٥/٢٠٦، ٢٠٧) وصحيح مسلم (٤/٢١٤١) رقم: (٢٧٧٤).

أحدهم: يا رسول الله، إني مريض! فيقول له: **صدقت**. وهو ليس مريضاً في جسمه، لكنه مريض القلب. ويأتيه الثاني فيقول له: امرأتي مرضت في الغزوة! فيقول له: **صدقت**. ويأتيه الثالث يقول له: فقير ما استطعت أن أشتري جملاً! فيقول له الرسول ﷺ: **صدقت**، فيقول تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣].

فماذا أحدث عليه الصلاة والسلام بهذا الخلق؟

جمع القلوب بدعوته، وألّف بين الأرواح بحكمته، أتاه أحدهم فقال له: والذي لا إله إلا هو إنك أحب إليّ من نفسي!!

وقال الثاني: والله ما ملأت عيني منه إجلالاً له، والله لو سألتموني أن أصفه لكم، ما استطعت أن أصفه من حبي وإجلالي له.

ولقد كانوا رضي الله عنهم يتمنون أن تسيل دماؤهم، وتندق أعناقهم، ولا يشاك رسول الله ﷺ بشوكة.. هذا هو

الحب!

٢ـ الخلاف بين معاوية وابن الزبير:

كان لمعاوية مزرعة في المدينة، وله عمال، وكان لابن الزبير مزرعة بجانبها، ومعاوية آنذاك يحكم ما يقارب العشرين دولة، وابن الزبير راعٍ من رعيته، وكان بينهما حزازات قديمة، فأتى عمال معاوية ودخلوا في مزرعة ابن الزبير، فكتب ابن الزبير لمعاوية كتاباً، وكان رضي الله عنه غضوباً، فقال له:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله بن الزبير ابن حواريّ الرسول، وابن ذات النطاقين، إلى معاوية بن هند بن آكلة الأكباد! أما بعد: فقد دخل عمالك مزرعتي، فوالذي لا إله إلا هو إن لم تمنعهم ليكونن لي معك شأن!!

فقرأ معاوية الرسالة ـ وكان حليماً ـ فاستدعى ابنه يزيد، وكان يزيد متهوراً، فعرض عليه معاوية الرسالة، وقال: ماذا ترى أن نجيبه؟

قال: أرى أن ترسل له جيشاً أوله في المدينة، وآخره عندك

في دمشق يأتونك برأسه!!

فقال معاوية : لا، خير من ذلك وأقرب رحماً، فكتب معاوية : بسم الله الرحمن الرحيم، من معاوية بن أبي سفيان، إلى عبدالله بن الزبير بن حواريّ الرسول، وابن ذات النطاقين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد : فلو كانت الدنيا بيني وبينك، ثم سألتها لسلمتها لك، فإذا أتاك كتابي هذا، فضمَّ مزرعتي إلى مزرعتك، وعمالي إلى عمالك فهي لك، والسلام!!

وصلت الرسالة إلى ابن الزبير، فقرأها وبلَّها بدموعه، وذهب إلى معاوية في دمشق، وقبّل رأسه، وقال له : لا أعدمك الله عقلاً أنزلك هذا المنزل من قريش.

* * *

ثالثاً : الاجتماع تحت راية الإسلام

إننا نختلف عن سائر الأمم.. فلم نجتمع على حبِّ الوطن! فالوطنية ليست هي التي جمعتنا، فإن أوطاننا هي كل بلاد المسلمين، وأينما ذكر اسم الله في بلد كان هذا البلد وطناً لكل المسلمين.

ولم نجتمع كذلك على دم، فإن الدم دعوة أرضية لم ينزلها الله في كتابه، ولم نجتمع على لغة، فإن اللغات شتى.

ولكن اجتمعنا على عقيدة، وعلى مبدأ أتى به محمد ﷺ وهو «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

هذا المبدأ العظيم، جعلنا نتآخى ونجتمع بعد فرقة وشتات.

إن كيد مُطَّرِفُ الإخاءِ فإننا
نغدوا ونسري في إخاءٍ تالدِ
أو يختلف ماءُ الغمام فماؤنا
عذبٌ تحدَّر من غمامٍ واحدِ
أو يختلف نسبٌ يؤلِّفُ بيننا
دينٌ أقمناهُ مقامَ الوالـ

فكلما حدثت جفوة، أو حصل هجر، عُدنا إلى الدين، وتذكرنا أننا نصلي الصلوات الخمس، وأننا نتَّجه إلى قبلة واحدة، ونتَّبع رسولاً واحداً، ونعبد ربًّا واحداً، ومعنا كتاب واحد، وسنَّة واحدة، فلله الحمد.

إن ما يجري بين الأحبة من خلاف ـ أحياناً ـ لا يفسد للود قضية، ولا يغيِّر ما في النفوس، فإن الله يقول: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]. فإنه ـ بمشيئة الله ـ يحدث مثل هذا، وفي ذلك من المصالح العظيمة ما الله به عليم.

يقول المتنبي:

لعل عَتْبَكَ محمودٌ عواقبُهُ
وربَّما صَحَّت الأجسادُ بالعلَلِ

ولعلنا نكره شيئاً فيه خير كثير، ونحب شيئاً فيه شر كثير، ولله الحكمة البالغة.

لا تُدَبِّرْ لك أمراً
فأولو التدبير هَلكى
وارضَ بالله حكيماً
نحنُ أولى بك منكا

فلا تكره من أمر الله شيئاً، «ورب ضارة نافعة». فأحياناً تحدث أمور يكون فيها من المصالح العظيمة التي لا يدركها البشر بعقولهم، ولا بتخطيطهم، ولا بتصريفهم!

ومن هذه الأمور ما يكون قوة للإنسان ورفعة، ومنزلة وحماية، وكفارة، ودرجة، وكان يحسب هو أنها نقمة، وأنها ضربة له، وأنها كارثة، فلله الحكمة البالغة، ولابد للعبد أن يقول كلما أصبح وأمسى: «**رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبيًّا**».

وفي سنن أبي داود بسند صحيح: «**من قال رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، وجبت له الجنة**».

فإنه ليس بيننا وبين أحد من الناس شجار لأسباب دنيوية، ولا لذواتنا، ولا لأنفسنا، فإن العبد عليه أن يسعى لمصلحة هذا الدين، ولمصلحة الأمة والبلاد والعباد، وأن يسعى لجمع الصف، ونبذ الفرقة، ودرء الفتن عن الأمة حتى تكون الأمة تحت مظلة: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

اللهم أعصمنا من الزلل، وأنقذنا من الخطل، وأخرجنا من الحادث الجلل.

اللهم ثبّت منا الأقدام، وسدّد منا السهام، وارفع منا الأعلام، وانصرنا بالإسلام.

اللهم انزع من قلوبنا الغلَّ على الإخوان، والضغينة على الجيران، والحسد للأقران.

اللهم اغسل قلوبنا بماء اليقين، واسق أرواحنا من كوثر الدين، وأثلج صدورنا بسكينة المؤمنين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

الفهرس

* * *

من إصداراتنا
لفضيلة الشيخ عائض بن عبدالله القرني











